الجمـــــهورية الجـــــــزائرية الديمـــــــــقراطية الشعـــــــبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر – بسكرة –

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

محاضرات في النص الأدبي الحديث

المحاضرة الثانية : (الصنعة وامتدادها في مدارس الشعر الحديث)

السنة الأولى ماستر تخصص أدب حديث ومعاصر

إعداد: سامية آجقو

تمهيد

تمتد جذور الصنعة الفنية كممارسة شعرية منذ العصر الجاهلي فيما يعرف بالشعر المحكك الحولي، وفي القرن الثاني مع تطور الحياة العربية تطور الذوق الشعري وسادت أناقة التعبير ،حيث شهدت الصنعة تطورا بارزا على مستوييها اللفظي والمعنوي ،إذ قدمت الحضارة للشعرالعربي آليات جديدة كقوة التمثيل والتجسيم والتشخيص.

1- مصطلح الصنعة:

ورد مصطلح صناعة الشعر بكثرة في متون الكتاب والنقاد العرب القدامى وكان الجاحظ في طليعتهم ،فهو أول من دعا إلى جودة الصياغة ،ورأى أن النظرة إلى الأدب ينبغي أن تكون إلى مقدار ما حوى من آثار الصنعة و مدى عناية الأديب بالأسلوب الذي تبدو فيه مظاهر الفنية كما نستدل بقوله المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي ،والبدوي والقروي ، (المدني).وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج

و(كثرة الماء)، وفي صحة الطبع وجودة السبك ،فإنما الشعر صناعة ، وضرب من النسج وجنس من التصوير، وقد قيل للخليل بن أحمد :مالك لا تقول الشعر ؟ قال : الذي يجيئني لا أرضاه والذي أرضاه لا يجيئني . فأنا أستحسن هذا الكلام ،كما أستح سن جواب الأعرابي حين قيل له :كيف تجدك ؟قال (أجدني) أجد ما لا أشتهي ،وأشتهي ما لا أجد[1] .

الشعر ليس عملا سهلا ساذجا كما يعتقد كثير من الناس ، بل هو عمل معقد غاية التعقيد ،هو صناعة تجتمع لها في كل لغة طائفة من المصطلحات والتقاليد ، ما يزال النقاد منذ أرسطاليس يحاولون أن يصفوها بما يقيمون عليها من مراصد ومقاييس ،وقد يكون من الغريب أن نجعل الشعر صناعة ، ولكنه الواقع ،فكلمة شاعر عند اليونان القدماء معناها صانع ،ولذلك نراهم يقرنون في أبحاثهم الشعر إلى الصناعات والفنون الجميلة من نحت وتصوير ورقص وموسيقى ،وكلمة شاعر عندنا في اللغة العربية تقترب من معناها في اليونانية ،فالشاعر معناها العالم والشعر معناه العلم ،والعلم كما هو معروف ـ يدخل في باب الصنائع .وتناثر في أشعار العرب القدماء ما يدل على أنهم كانوا يحسون بأن الشعر ضرب من الصناعات ،فالشعر في رأي العرب كما هو في رأي اليونان صناعة وهي صناعة معقدة لقواعد دقيقة صارمة في دقتها بحيث لا ينحرف عنها صناع الشعر إلا ليضيفوا إليها قواعد أخرى ما تزال تنمو مع نمو الشعر وتتطور مع تطوره .[2]

ويبقى الشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم على حد قول ابن سلام الجمحي بريئا من عوار الارتجال وهفوة السرعة ، لهذا نجد بعضا من المرادفات التى توثق مفهوم الصنعة وفي هذا يقول الجاحظ وصفو ا كلامهم في أشعارهم فجعلوها كبرود العَصب ، وكا لحلل و المعاطف والديباج ، والوشى و أشباه ذلك .

فإن أهلك فقد أبقيت بعدي قوافي تعجب المتمثلينا

لذيذات المقاطع محكمات لو أن الشعر يلبس لارتدينا[3]

[1] ـأبو عثمان عمرو بن الجاحظ، البيان والتبيين،تحقيق عبد السلام محمد هارون ،ج3 ، مكتبة الخانجي ،القاهرة ،ط2،ص131،132.
[2] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي ،دار المعارف ،القاهرة ،ط11،ص13،14.
[3] ـأبو عثمان عمرو بن الجاحظ، البيان والتبيين،تحقيق عبد السلام محمد هارون ،ج1، مكتبة الخانجي ،القاهرة ، ص222 .

ولعل مما يفسر ذلك أيضا أنهم كانوا يسمون الشعراء بأسماء تصور مهارتهم وإجادتهم فربيعة بن عدي كان يسمى المهلهل لأنه أول من هلهل الشعر وأرقّه ،وكان طفيل الخيل يسمى المحّبر لتزيينه شعره، وكان النمر بن تولب يسمى في الجاهلية الكيّس لحسن شعره وكذلك سمي النابغة باسمه لنبوغه في شعره ،كما سمي المرقّش باسمه لتحسينه شعره وتنميقه، وسمي علقمة بالفحل، لجودة أشعاره و بجانب ذلك نجد أسماء أخرى مثل المثقّب والمنخّل والمتنخل والأفوه، وقد سموا القصائد بأسماء تصور هي الأخرى مبلغ تفوقهم وإجادتهم فسموها اليتيمة وسموها السّموط، وسموها الحوليات والمقلدات والمنقحات والمحكمات .

وكل ذلك يدل على أن الشعراء كانوا يمتحنون وسائلهم ويجربونها ، وما يزالون يبحثون عن الأدوات التي تكفل شعرهم التفوق والنجاح [1].

2- الصنعة في الشعر العربي الحديث :

إذا ذهبنا نتعقب الشعر العربي الحديث وجدنا نهضة واسعة تأخذ به من جميع أطرافه

وقد بدأ هذه النهضة شعراء مصر الحديثة يقودهم فيها البارودي وهي في كنهها ثورة على القديم، بل هي تتصل به اتصالا شديدا ،إذ ترى الشعراء يعودون بالشعر العربي إلى رونقه الذي يعرفه في العصر العباسي ،فقد تركوا هذا الشعر الركيك الذي نعرفه للمصريين في العصر العثماني ، كما تركوا شعر الخشاب والساعاتي ومن إليهما ممن كانوا ينظمون في مفتتح العصر الحديث ،إذ كان شعرهم غثا ومسفا ، وأخذوا يرتفعون بشعرهم إلى آفاق إحياء القديم وبعثه ، فهي حركة بعث وإيقاظ ورجوع بالشعر إلى تعبيره القديم ولذلك لم تختلف صورة الشعر عند البارودي وتلامذته كثيرا عن الصور القديمة ،فقد استمدوا أفكارهم وأخيلتهم ومعانيهم من القدماء، إذ ذهبوا يستنون بمناهجهم ويحتذون على أمثلتهم.

ومن يرجع إلى البارودي يجده يقلد جميع الشعراء العباسيين والجاهليين والإسلاميين فهو يعارض النابغة والبحتري والشريف الرضي والمتنبي وأبا العلاء ،ولكن مع هذا نراه

[1] .شوقي ضيف :الفن ومذاهبه في الشعر العربي ،دار المعارف ،القاهرة ،ط11،ص23.

يخرج بالشعر من نطاق صفوت الساعاتي والخشاب إلى شوقي زعيم الشعر المصري الحديث وجدناه مثل أستاذه البارودي ينحو نحو تقليد القدماء ،ولذلك كانت تكثر عنده معارضة الشعراء السابقين من مثل أي نواس وأبي تمام والبحتري وابن زيدون ، ولعل في هذا ما يدل على أن النهضة الفنية في الشعر المصري الحديث ، كانت نهضة بعث وإحياء ، يقول حافظ :

آن يا شعر أن نفك قيودا قيدتنا بها دعاة المحال

ولكن حافظا وإخوانه لم يفكوا عن فنهم أفعى التقليد والذي لا ريب فيه أن شوقي أكثرهم تجديدا ،فقد حاول أن يحدث ضربا من الشعر التمثيلي على نحو ما نعرف في روايات مصرع كليوباترا ومجنون ليلى وقمبيز .إلا أن هذه المحاولة لم تبلغ الذروة عنده لعدة أسباب أهمها أنه لم يدرس تاريخ المسرح الاوربي .

3- المدارس الأدبية الحديثة[1]:

ونتيجة الاحتكاكات الفكرية الكثيرة التي ظهرت بعد البارودي فقد تعددت المدارس الشعرية ، حيث ظهرت مدرستان كبيرتان هما :

- مدرسة المحافظين
- مدرسة المجددين (الديوان ومدرسة أبولو)
- مدرسة المحافظين :وهم الذين جاؤوا في الصدارة بعد البارودي واستطاعوا النهوض بالشعر نهوضا قويا من جوانب مختلفة ويسمونها تارة مدرسة الإحياء أو المقلدين وتارة بمدرسة البعث .
- مدرسة الديوان :قامت على ثلاثة من الشبان تثقفوا ثقافة انجليزية واهتموا بالعقل وغلبوه على العاطفة، مع أنهم تأثروا بالمدرسة الرومانسية الانجليزية أكثر من غيرها وهؤلاء الشبان هم عبد الرحمن شكري ، إبراهيم عبد القادر المازني ، وعباس

[1] - ينظر :مسعد بن عيد العطوي ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ط1 ،2009 ، ص 87 ،ص 83 ،91 ، 92 .

محمود العقاد ، نادوا بالتجديد وهاجموا مدرسة المحافظين ، كوّنوا فلسفة شعرية تقوم على أن الشعر تعبير عن النفس الإنسانية في فرديتها وتميزها وقد غلب على شعرهم الحزن من منطلق التأمل والتفكير

- مدرسة أبولو : ويطلق عليها عدد من المصطلحات وهي : أبولو والرومانسية والتجديد والوجدانية .

أبولو : اسم اغريقي مأخوذ من آلهة الشمس والفنون الجميلة كلها ويعادل عبقر المفهوم العربي معجم الأدباء . وتهدف هذه المدرسة إلى السمو بالشعر ومحاربة التمذهب والخضوع للنظريات الأدبية والفكرية وأ، يكون الشاعر حرا طليقا كالعصفور بالإضافة إلى الوضوح في الفكر وقرب المأخذ . وأن يصدر عن وجدان الشاعر في حرية وإخلاص .

لار